صور من الحياة

هوى على الشاطئ

للاستاذ كامل محمود حبيب

— ٢ —

... وبعد أيام أخذ الرفاق يتهيأون للسفر ، وراح الفتى يعد نفسه للسفرة الجبلية . وانطلق الركب إلى الأسكندرية يحدوه الأمل ويدفعه الرجاء ، وفى النفوس النشوة والمتاع ، وفى القلوب المرح والشباب .

لقد طاروا جميعاً إلى الأسكندرية ليتخففوا من عبء اللياس الذى يوارى السوأة وليتفضوا أغلال التقاليد التى تسمو بالكرامة ، وليضعوا عن أنفسهم إصر الأخلاق التى هى سمة الإنسان ، وليندفعوا فى خضم من الحيوانية الجامحة لا تغسله إلا عبرات الشتاء حين تنهمر مدراراً لتمسح على دعارة الصيف وفجوره .

أما صاحبى ... الفتى الساذج الذى عاش عمره فى سجن من حديد ... أو سجن من ذهب لم يبل الفضاء ولا عرك الحياة ، وطوى زهرة الشباب يرسف فى أغلال ثقال من الدين ... الدين الذى يبذر فى القلب الرهبة ويغرس فى النفس الخنوع وينفث فى الروح الخوف ويقيد الهمة بالاستسلام ... أما صاحبى هذا فقد أذهلته الحياة وهى تضطرب حواليه موارة تزخر بصنوف من العبث الوضيع فتقززت لها نفسه ونفرت منه روحه ، وبدت له دنيا الشاطىء سوقا تعرض فيها الباذل فى غير خجل ولا استحياء . وشعر بأنه هنا غريب يحس الضيق والملل لأنه لا يستطيع أن ينسى تاريخه فينغمر فى هذا الحضم وقد دنسته الخطيئة ولوثته الرذيلة ، ولا يستطيع أن يطوى أيامه وحيداً على هامش الحياة . وحدثته نفسه — غير مرة — بأن يطير عن هذا الجو الذى يخنق الفضيلة ويقتل الشهامة ، غير أن رفاقه كانوا يمسكونه أن يفعل فيستخذى لهم فى ضعف ويستسلم فى فتور .

يا عجبا ! لقد فزع الناس إلى الشاطىء يطلبون — كرأيهم — الصحة والعافية والجمام ، أما هو فقد جاء ليقاسى ألم الضيق ويعانى أذى الوحدة .

وخشى الرفاق أن تسرى فيهم روح هذا الفتى فتتسرب إلى نفوسهم خواطره فيحسون كراهية الشاطىء الحبيب ، وهم يرونه منكفئاً — أبداً — على نفسه يسبح فى تيه من الظلمات لا يطرب للذة ولا يهتز لمتعة ولا يستبشر لفرحة ، فانطلقوا إليه يوسوسون بأمر :

وظفر شيطان من الناس — بعد لأى — بالفتى فجذبه الى الشاطىء فى برنسه وتبانه . لقد خلع الفتى ثوبه ولكنه لم يستطع أن يخلع الحياء ، فوقف بازاء الماء يهم أن يخلع البرنس فيمسكه الخجل وقد اكتنفه الندم على أن طاوع رأى صديقه الشيطان . وتردد حيناً غير أن صاحبه لم يدعه يفكر طويلا فجذبه — على حين غفلة — من برنسه ، فإذا هو فى تبانه يضطرب ، ونظر حواليه فرأى عيوناً ترمقه ، فاندفع فى الماء يشق الموج بذراعين فيهما القوة والفتوة والشباب . وانطلق الرفاق على آثاره يمجدون الطفرة المباركة ، واهتزت نفسه لكلمات الإطراء فانطلق يصارع الموج .

وأحس الفتى أن رفاقه يتساقطون من حوله واحداً بعد واحد من أثر الأين والفرق ، وراعه أن يجد نفسه وحيداً وهو فى منأى عن الشاطىء ، فهم يريد أن يرتد فما أمسكه إلا أن رأى فتاة فى ميعة الصبا وفورة الشباب تشق الموج شقاً . ونظر الفتى

هذه دراسة خاطفة للاسلام ، والمسلمين فى بلاد الانجليز ، اعتزمت القيام بها منذ سفرى إلى هذه البلاد وأرجو أن يكون ذلك تمهيدا لدراسة إسلامية أكثر استفاضة وعمقا .

(ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيء لنا من أمرنا رشدا)

بروى عبد اللطيف عوضه

أستاذ فى كلية أصول الدين وعضو بعثة فؤاد الأول الأزهرية بانجلترا والملحق بالمركز الثقافى الاسلامى بلندن

ونظرت الفتاة ثم ابتسمت . واستولى الحياء على الفتى فأراد أن ينطوى عنها ولكنها حذرته أن يذرها وحيدة بين طيات الموج فاتأد واقتربت الفتاة وهى تقول « إنك سباح ماهر ! » فهمهم الفتى يقول « شكراً لك » . وصحب الفتى الفتاة على كره منه . واطمأنت الفتاة إلى الفتى حين أحست فيه شيئاً ساميا ليس فى شباب الشاطىء ، أحست فيه الشهامة والهدوء والتأبى ، فما بلغا الشاطىء حتى قد أخذت عليه موثقاً أن يقطعا هذا الشوط معاً كل صباح .

وصحا قلب الفتى حين وخزته النظرات الآسرة وحين غمره الحديث الرقيق ، فما تعوق ولا تمنع .

ومرت الأيام تمسح بيد رقيقة على آثار الضيق فى نفس الفتى لأن ابتسامة الفتاة الجميلة كانت تشرق فى جنبات قلبه ، وتمحو سمات الخجل من تاريخه لأن روح الفتاة كانت ترف رفيفاً جميلا فى ثنايا فؤاده ، وتنزع عنه ظلمات الخواطر السود التى رانت عليه زماناً لأن جبين الفتاة الوضاح كان ينير له السبيل ، وتحبب إليه الحياة على سيف البحر لأنه كان يستمتع هناك بالنعمة الخالدة ... باستجلاء الطلعة الوضاءة . ونسى صاحبى الدين ... الدين الذى غل قلبه ولسانه حيناً من الزمان فقعد اللذة والسعادة والمرح .

وغدا الفتى رجلا آخر غير من عرف فى نفسه ، فهو يتشوف لساعة الصباح فى شوق ولهفة لينطلق إلى الشاطىء لا يمسكه الخجل ولا يدفعه الحياء ، وهو يذرع الشاطىء فى تيه لا يبالى الأعين ولا يخشى الألسن ؛ وهو يخلو إلى صاحبته ساعة من صدر النهار يكشف لها دوافع قلبه فى حديث يفيض بالعاطفة ويفوق بالهوى لا يشوبه إلا ما كان يخشاه من أن تستشف من خلاله أنه زوج وأب ورب أسرة ـ وهو سره هو ـ فتنفر منه على حين أنه ضنين بها حريص على حبها ؛ وهو يتأهب للقيا الحبيبة أصيل كل يوم فيقف طويلا أمام المرآة يستشيرها حيفة أن تقع الفتاة منه على ما يؤذى عينها أو يمجه ذوقها . وعرف الفتى ـ لأول مرة ـ معانى النظام والزينة والأناقة ... عرفها لأنه عرف النشوة فى الهوى والشباب

وأحس الفتى ـ لأول مرة ـ أن فى المرأة فنوناً من الإغراء لا عهد له بها ، فنوناً من الدلال والأناقة والتطرية والعطر ، فنوناً صاغتها يد الحضارة الصناع فى دقة وأتقان فوجدها جميلا فى فتاته الشابة وافتقدها جميلا فى زوجته الريفية التى حبستها التقاليد القاسية بين أسوار من العمى والجهل . ولمس فى المرأة معانى أخرى حبيبة إلى نفسه ، معانى غير الخضوع والاستسلام والضعف ، معانى غير الجهل والسفه والحمق ، معانى غير اللذة الرخيصة والشهوة الوضيعة . فهو يجلس إلى فتاته فتحدثه حديثاً فيه الرقة والجاذبية ، وتناقش الرأى فى هدوء وتجادل الفكرة فى هوادة ، ثم هى تهديه إلى الصواب فى لباقة إن غرب عنه ، وتبصره بالحق فى رفق إن عمى عليه . فوجد ـ بعد حين ـ فرق ما بينها وبين المرأة التى تزوج لتكون بعض متاع الدار ، لا رأى لها فى الأمر ولا قيمة لها فى الأسرة ولا نصيب لها فى الحياة .

ولصقت الفتاة بالفتى حين لمست فيه خصالا عزت على أترابه ، فهو عف اليد واللسان ، وهو رفيع النفس لا يستنزل إلى الدنىء من القول ولا ينحط إلى الوضيع من العمل ، ثم هو رجل فيه الرجولة والإنسانية والشهامة . وراقها أن تراه طيب القلب هادىء النفس سهل الطبع ، ولذ لها أن تجده يندفع إليها فى غير صبر ويهفو نحوها فى غير أناة ، فصبت إليه ورضيته صاحبا ورفيقاً ، وقلبها يتفتح له رويداً رويداً .

وانطلق الفتى على سنته والفتاة إلى جانبه تجذبه إليها فى رفق وتسيطر عليه فى هوادة وتلقاه فى بشر ، ثم فتحت أمامه باب السينما ومهدت له السبيل إلى المسرح ، وهو ينقاد لها فى سهولة ويسر . واطمأن واطمأنت فما يفترقان إلا ليتلاقيا على ميعاد .

وانطوت أيام وحانت ساعة الوداع ... حانت ليتلاقيا ـ بعد أيام ـ فى القاهرة : فماذا كان منك ـ يا صاحبى ـ وماذا كان من الفتاة ؟

كامل محمود حبيب